التأويل وأهميته فى اللغة العربية

﴿ دراسة نحوية بلاغية مقارنة ﴾

محمّد دانيال جلال الدّين

Salah satu masalah yang cukup penting dalam bahasa Arab adalah Ta'wil, baik dalam Nahwu maupun dalam Balagah. Di dalam al-Qur'an dan Hadis dan nas-nas berbahasa Arab lainnya, cukup banyak kata-kata atau pernyataan yang tidak dapat dipahami secara literal, sehingga harus di-ta'wil-kan secara proporsional. Adapun Ta'wil dalam Nahwu mencakup tiga aspek yaitu; al-haz³f (menjatuhkan suatu lafal), al-istitār/al-id>mār (menyiratkan suatu kata ganti/preposisi), dan al-taqdīr (memperkirakan suatu lafal). Sedangkan Ta'wil dalam Balagah ialah pemaknaan secara majas yang terdiri dari al-isti'ārah (karena adanya persamaan karakter) dan al-majāz al-mursal (tanpa adanya persamaan karakter, tetapi karena hubungan tertentu). Penguasaan terhadap masalah ta'wil tersebut adalah suatu keharusan, khususnya dalam memahami nas-nas al-Qur'an dan Hadis untuk menghindari kesalahpahaman terhadap kedua sumber hukum tersebut.

كما عرفنا أن اللغة العربية إحدى اللغات العالمية التي تلعب دورا هاما في جميع أقطار العالم الإسلامي في مشارق الأرض ومغاربها لعوامل شتى دينيا وعلميا وسياسيا واقتصاديا O ومن أهم هذه العوامل هو العامل الديني إذ أن اللغة العربية وسيلة وحيدة للتعمق فى الدراسات الإسلامية . و قد أنزل الله القرآن الكريم على رسوله بلسان عربى مبين ، كما تشير إليه الآية الكريمة : إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون . (سورة يوسف : 2) . كما تحدث بها الرسول المصطفى محمّد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم وبالتالي ورد حديثه باللغة العربية الفصحى

قد تبين لنا أهمية اللغة العربية بمحافظة القرآن الكريم منذ نزوله فى عهد رسول الله إلى أن يكون مصحفا فى عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان ثم بإتمام كتابته بالحركات لكى يسهل على المسلمين أن يقرؤوه قراءة صحيحة.

وبعد امتزاج العرب بالعجم بدأت اللغة العربية تفسد وتنحرف عن فصاحتها. فأسرع أبو الأسود الدولى إلى الدفاع عن سلامتها من الاخطاء خوفا من ازدياد فساد اللغة العربية الذى ادى إلى سوء القراءة للقرآن الكريم وسوء الفهم

لمضمونه. من أجل ذلك قام أبو الاسود بتأليف مبادئ علم النحو والصرف للمسلمين حتى يسلموا من الاخطاء نطقا وقراءة لآيات القرآن الكريم.

قبل أن ندخل في صميم البحث عن التأويل ينبغي أن نلقي الضوء أولاً على اللغة العربية نفسها وما طرأ عليها من تطورات مرحلية على امتداد التاريخ كما يأتي :

1- فى العصر الجاهلي

تطور اللغة العربية بسبب احتكاك هذه اللغة بما يحيط بها من أمور أهمها:

أ. هجرة القحطانيين إلى جزيرة العرب و مخالطهم فيها بالعرب البائدة باليمن ثم تمزقهم فى بقاء الجزيرة كل من تمرق انفسهم و تحرب بلادهم بسيل الدم.

ب. هجرة اسماعيل عليه السلام إلى جزيرة العرب و مخالطة بنبه بالقحطانيين بالمهاجرة فى المنازل و المراجع و المحاربة و التجارة.

ج. اجتماع الناس فى الاسواق و أهمها سوق عكاظ ويأتيها كثير من اشراف العرب للتجارة و للمفاخرة و فيها تسابق الشعراء و الخطباء بالشعر والخطب فى الحسب و النسب و الكرم و الفصاحة .

د. كون مكة المكرمة مركزا للتجارة تحط بها الرحال القوافل الآتية من الجنوب وتحمل السلاح و التواجر من الهند و اليمن، ومع ذلك يأتى تجار العرب و غيرهم من كل فج عميق ليقضوا مناسك الحج و ذلك لان قريشا أكرم القبائل ورجالها يتزعمونهم فى الحج.

2- فى عصر صدر الإسلام

تطور اللغة العربية فى عصر صدر الإسلام لا يمكن انفصالها من أثر القرآن الكريم النازل باللغة العربية والحديث النبوى الوارد بها .

أ. أثر القرآن الكريم فى اللغة العربية، وهو:

- نزول القرآن الكريم بلهجة قريش التى هي أفصح لهجات العرب حتى تغلبت لهجة قريش على سائر لهجات العرب الناطقين باللغة العربية .
- تهذيب ألفاظ اللغة العربية وأساليبها فى القرآن الكريم.

- اتساع أغراض اللغة العربية بالبحث فيما لم يكن للعرب به سابق معرفة، و نشأة العلوم الحديثة كالنحو و الصرف.
- انتشار اللغة العربية فى بلاد الفرس و الروم و غيرها من البلاد بعد أن دخل أهلها فى الإسلام. و أصبحت اللغة العربية لغة رسمية لهم .

ب. وأما أثر الحديث فى اللغة العربية فهو كونه مصدرا اساسيا للإسلام بعد القرآن الكريم، فورود الحديث النبوى الشريف باللغة العربية الفصحى التي تكلم بها أفصح العرب يكون تهذيبا للغة العربية وصقلا لها .

بعد الحديث عن تطور وميزة اللغة العربية نصل الآن إلى البحث عن التأويل فى اللغة العربية سواء أكان فى النحو أم فى البلاغة.

فالتأويل لغة مِن أوّل الكلام : أي فسّره وردّه إلي الغاية المرجوة منه . (لجنة الإخراج ، ج1: 33)

و قال الإمام علاء الدين علي بن مُحَمَّد بن إبراهيم البغدادى المعروف بالخازن فى كتابه تفسير التأويل : التأويل هو الرجوع إلى الأصل يقال أولته أي صرفته فانصرف أي رد الشيئ إلى الغاية والمراد منه بيان نهايته المقصودة منه، فالتأويل بيان المعانى المستنبطة الموافقة للفظ.

وجاء "فى التفسير و المفسرون" ان التأويل ينقسم إلى قسمين أحدهما التأويل عند السلف وثانيهما التأويل عند الخلف.

فالتأويل عند السلف هو:

- تفسير الكلام و بيان معناه سواء وفق ظاهره ام خالفة فيكون التأويل والتفسير على هذا مترادفين.
- هو نفس المراد بالكلام فان كان الكلام طلب كان تأويله نفس الفصل المطلوب وان كان خبر كان قبله ظرف ظاهر.

و أما التأويل عند المتأخرين فهو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به . وهذا هو التأويل الذي يتكلمون عليه في أصول الفقه ومسائل الخلاف. (الذهبى : 17-18) .

و التأويل فى النحو أربعة أقسام:

الأول : الخذف، وهو ينقسم إلى أربعة أقسام، كما يأتى:

1) فى الجملة الفعلية: مثل
   - القسم مثل : والله لا فعل وأصله أقسم بالله.
   - أفعال الأمر نحو قولك : ''زيدا'' إذا أردت أن تقول ''اضرب زيدا''
   - خذف الجملة من الخبر المقصود. والخبرية نحو قولك خبر مقدم اى قدمت خبر مقدم.
   - الشرط نحو الناس مجزيون بأعمالهم ان خيرا فخيرا و ان شرا فشرا.
2) حذف الاسم. وأهم ذلك كما يلى :
   - المبتدأ أو الخبر و ذلك كثيرا كقوله تعالى و لم يلبثوا الساعة من نهار بلا اى طاعة وقول معروف.
   - المضاف، مثل : ولكن البر من اتقى.
   - المضاف إليه ، مثل : لله الامر من قبل و من بعد.
   - المفعول به، مثل : و أوتيت من كل شيئ أى شيئا.
3) حذف الفعل وحده. و ذلك أن يكون الفاعل مشغولا عنه مرفوعا به و ذلك كقوله تعالى إذا السماء انشقت.
4) حذف الحروف. كحذف الهمزة الإستفهامية.

الثانى : الاسنتار، وهو صنفان:

أ) اضمار الضمير المستتر سواء كان مستتيرا وجوبا أو جوازا

ب) اضمار ''ان'' فى نصب الفعل المضارع سواء عن طريق الجحوب بعد لام الجمود أو متى أو فاء السببية و واو المعية أو طريق الجواز بعد اللام التى ليست الجحود، و كذلك الواو و الفاء.

و جاء فى جامع الدروس العربية الحذف بأقسام كثيرة، كما يلى:

أولا : حذف فعل الشرط

- قد يحذف فعل الشرط بعد ‘‘ان المردفة بلا’’ نحو تكلم بخير إلا فسكت اى و إلا تتكلم بخير فليسكت.
- و يكون ذلك بعد ‘‘من مردفة بلا’’ كقولهم: من يسلم عليك فسلم عليه ومن لا فلا يعاب به.
- يحذف فيه فعل الشرط اذ يقع بعد الشرط و قد يكون حذف جواب الشرط.

ثانيا: حذف حرف الجر قياسيا. وهو فى ستة مواضع:

- قبل ‘‘ان’’ كقوله تعالى ويحبون ان جاءهم منذر منهم اى لان جاءهم.
- قبل كى الناصبة للمضارع كقوله تعالى فرددناه إلى امه كى تقرأ عينها اى لكى تقرا.
- قبل لفظ الجلالة فى القسم نحو الله لاحد من الامة صادق اى و الله.
- قبل مميز كم الاستفهامية إذا دخل عليه حرف الجر نحو بكم درهم اى بكم من درهم. (الغلايين : 193)

ثالثا: وجاء فى شرح ابن عقيل يبحث فى حذف عن المبتدأ والخبر فيما يلى:

-يحذف المبتدأ والخبر إذا دل عليه دليل جوازا أو وجوبا. مثل حذف الخبر كما تقول ‘‘زيد’’ التقدير زيد عندنا.

يحذف المبتدأ جوازا فيما يلى:

1- ان يكون المبتدأ فى اليمين نحو لعمرك لا فعلن، التقدير ‘‘لعمرك قسمى’’.
2- ان يقع بعد المبتدأ واو هى نص فى المعية.
3- ان يكون المبتدأ مصدرا وهذه حال سد مسد الخبر نحو ضربى العبد مسيئا التقدير ضربى العبد إذا كان مسيئا. (ابن عقيل : 45)

ويحذف المبتدأ وجوبا فى أربعة مواضع :

1- النعت المقطوع المرفوع للمدح أو للذم أو للترحيم، مثل : مررت بزيد الكريم، و مررت بزيد الخبيث، و مررت بزيد المسكين.

2- ان يكون الخبر مخصوص نعم و بئس. نحو نعم رجل زيد، بئس رجل عمر.
3- ما حكى الفارسى من كلامهم فى ذمة يمين نحو لافعلن .
4- ان يكون الخبر مصدرا نائبا مناب الفعل نحو صبر جميل.
رابعا: حذف عامل المفعول المطلق جوازا أو وجوبا.

ويحذف عامل المفعول المطلق وجوبا فهو فى ثلاثة مواضع:

1- إذا وقع المصدر بدلا من فعله وهو مقيس فى الامر والنهى نحو قياما لا قعودا التقدير قم قياما و لا تقعد قعودا.
2- إذا وقع المصدر بعد الإستفهام و يقصد به التوسيخ.
3- إذا وقع المصدر اقامة الفعل و يقصد به الخبر. نحو افعل وكرامة اى اكرمك.

والإضمار فى كتاب جامع الدروس قد يكون جوازا وقد يكون وجوبا.

الإضمار جوازا بعد ستة أحرف:

1- لام كى أو تسمى لام التعليل أيضا. نحو و انزلنا إليك الذكر لتبين للناس اى لاجل أن تبين.
2- لام العاقبة. نحو: جئت لا تعلم بالتقدير جئت لان اتعلم.
3- الواو و الفاء و ثم و أو العاطفات

مثال الواو: يا ابن الشجاع الغراب وسلم التأويل يا ابن الغراب السلامة.

مثال ثم: يرضى الجيان بالهوان ثم سلم : اى يرضى الجيان ثم السلامة.

مثال أو: الموت أو يبلغ الانسان أمله أفضل اى الموت بلوغ الامل أفضل.

والاضمار وجوبا فهو بعد:

1- لام الجحود وهى اللام التى بعد النفى (بعد ما كان أو لم يكن النافيتين) نحو: لم يكن الله ليغفر لهم، ما كان الله ليظمهم.
2- فاء السببية. نحو: لا يؤذن لهم فتعذرون اى ليس هناك إذن لهم والاعتذار منهم.
3- واو المعية. نحو : لا تعص الله ويراك اى وهو يراك و المعنى هو يراك فلا تعصيه.

4- حتى. نحو: اطلب الله حتى تفوز برضاه اى إلى ان ترجع وتفوز.
5- بعد أو.

الثالث: التقدير فى الجمل المفردة

هذا هو المظهر الثالث من التأويل فى النحو بجانب الحذف والاستتار. و من اهم مظاهر التأويل فيه هى باختصار الجمل التى لها محل من الاعراب ويبدو التأويل فيها فى جعلها محل لمفرد كان صفة أن يكون فى مكانها.

وجاء فى كتاب القواعد الاساسية للغة العربية أن التأويل فى النحو هو حذف وتقدير، وهو كما يلى:

1- أن يكون المبتدأ صريحا فى القسم نحو ايمن الله لا نصفز المظلوم أي ايمن الله يمين.
2- ان يكون المبتدأ بعد لولا و الخبر قول عام نحو: لولا ما حفظت الأمة على استقلالها.... بتقدير موجود.
3- ان يكون المبتدأ معطوفا عليه اسم بواو تدل المصاحبة نحو كل انسان وعمله اى مقترنان.
4- ان يكون المبتدأ مصدرا مضافا إلى مصدر صريح أو مؤول. نحو: أكثر سفر سليم ماشيا، اى إذا كان ماشيا (الهاشمى: 132)

ذلك هو التأويل فى النحو ومن ثم نبحث عن التأويل فى البلاغة بصفته جزءا من التأويل فى اللغة العربية.

أما التأويل فى البلاغة فهو اللفظ الذى نقل معناه الأصلى ويدل على معنى غيره مناسب له. ويسمى التأويل فى البلاغة بالمجاز. فالمجاز هو اللفظ المستعمل فى غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من ارادة المعنى الحقيقى. واما العلاقة قد تكون مناسبة وقد تكون مشابهة وقد تكون غيرها (الهاشمى: 290-291)

وجاء فى كتاب " الفنون البلاغيةُ" تعريف التأويل فى البلاغة أنه يسمى أيضا بالمجاز هو الكلمة المستعملة فى غيرها هى موضوعة له بالتحقيق أو مستعملة

فى الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة عن ارادة معناها فى ذلك النوع. (احمد مطلوب:90)

فالمجاز هو يبحث عن معنى الكلمات ومقصود الكلمات فى الجملة وينقسم المجاز إلى أربعة كما يلى:

1- المجاز المفرد المرسل.

2- المجاز المفرد بالإستعارة ويجريان فى الكلمة.

3- المجاز المركب المرسل.

4- المجاز المركب بالإستعارة ويجريان فى الكلام.

المجاز المفرد المرسل هو الكلمة المستعملة قصدت فى غير معناها الأصلى الملاخظة بعلاقة مشابهة مع قرينة دالة على عدم المعنى الوضعى. وله علاقة كثيرة، أهمها:

- السببية وهو كون الشيئ المنقول عنه سببا و مؤثرا فى غيره. نحو: راعت الغيب اى النبات لان الغيث (المطر) سبب فيه.
- المسببية: أن يكون المنقول عنه مسببا و اثرا الشيئ آخر. نحو: و ينزل لكم من السماء رزقا اى مطرا لان المطر يسبب الرزق.
- والكلية: كون الشيئ متضمنا للمقصود ولغيره. نحو: يجعلون اصابعهم فى إذانهم. والقرينة حالية وهى استحالة ادخال الأصابع كله فى الأذن.
- الجزئية: وهى كون المذكور ضمن شيئ آخر. نحو: فتحرير رقبة مؤمنة.
- اللازمية: كون الشيئ يجب وجوده عند وجود شيئ آخر نحو: طلع الضوء اى الشمس.
- الملزومية: كون الشيئ يجب وجوده عند وجود شيئ آخر نحو: ملأت الشمس المكان أي ضوؤها .
- الالية: كون الشيئ واسطة لإتصال اثر الشيئ إلى الآخر. نحو: وجعل لى لسان صدق فى الآخرين اى ذكر.
- والتقييد ثم الإطلاق هو كون الشيئ مقيدا بقيد أو اكثر نحو: استغفر زيد مجروح.

- العموم: كون الشيئ شاملا لكثير نحو: قوله تعالى ام يحسدون الناس اى النبى صلى الله عليه وسلم.
- الخصوص: كون اللفظ خاصا بشيئ واحد كإطلاق اسم الشخص على القبيلة. نحو: ربيعة – وقريش.
- الحالية: كون الشيئ حالاً فى غيره. نحو: ففى رحمة الله هم فيها خالدون، فالمراد للرحمة هى الجنة تحل فيها رحمة الله.
- المحلية: كون الشيئ يحل فيه غيره كقوله تعالى: فاليدع نادية، فالمراد من يحل فى النار. (الهاشمى: 292-295).

وجاء فى *البلاغة الواضحة*، البيان والمعانى والبديع أن التأويل فى البلاغة اى المجاز اللغوى و هو اللفظ المستعمل فى غير وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من ارادة المعنى الحقيقى والعلاقة بين المعنى الحقيقى و المعنى المجازى قد تكون مشابهة و قد تكون غيرها، والقرينة قد تكون لفظية و قد تكون حالية (على الجارمى و مصطفى امين:71).

والإستعارة من المجازى اللغوى، خلاف أحد ظرفيه فيه، فعلاقتها مشابهة دائما. وهى قسمان:

- تصريخية وهى ما صرح فيها بلفظ المشبه نحو: كان اخى يقرئى العين جمالا والأذن بيانا.
- مكنية و هى ما حذف فيها المشبه به و رمزله بشيئ من لوازمه، نحو: رب إنى وهن العظم متى واشتعل الرأس شيبا.

كما قد شرحنا التأويل فى النحو والبلاغة تعريفه واقسامه، فقال ابن مضا بما سبق. انه يعرض التأويل فى النحو (خاصة فى الحذف والاضمار) قائلا ان الفكرة من النص اللغوى ومناقشتها من نفس المتكلم وانطباق رأيه من النظرة إلى النص . فمن ناحية النص قسمت المحذوفات إلى ثلاثة انواع:

1- محذوف لا يتم الكلام إلا به ، حذف علم الخاطب به كقولك لمن رأيته يعطى الناس زيدا اى اعط زيدا. ومثال فى القرآن: يسئلونك ماذا ينفقون قل العفو.

2- محذوف لا حاجة بالقول إليه، بل هو تام دونه وان خذف. كقولك زيدا ضربته. قالوا أنه مفعول بفعل محذوف تقديره (ضربت زيدا) .

3- مضمر ان اظهر تغير الكلام عن ماكان عليه قبل اظهاره كقولنا، يا عبد الله فان اظهر الفعل تغيرا الكلام عما كان علية. وصار النداء خيرا، إذا التقدير ادعو عبد الله.

هذا ولا يسعنا ونحن في نهاية هذا البحث أن نقرر بما أن القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف – وكلاهما مصدر للتشريع الإسلامي – واردان باللغة العربية فيجب على الراغبين في استنباط الأحكام واستخراج القيم منهما الإحاطة بقضية التأويل والإلمام بما يتعلق به حتى يتسنى لهم القيام بأعمالهم خير قيام دون التعرض للأخطاء الناجمة عن سوء الفهم للنص الذي قد يحتاج الى التأويل نحويا أو بلاغيا .

بعد البحث عن التأويل فى اللغة العربية نحويا وبلاغيا، نتقدم الآن بنتائج البحث، كما يلى:

1- إن التأويل في اللغة العربية قضية لا يستهان بها . فإذا لم يكن لأحد معرفة التأويل ، ليس له حظ في معرفة اللغة العربية بل يتحتم عليه سوء الفهم لها .

2- إن التأويل يبحث فى ترتيب الجملة وقواعدها ووظيفتها خاصة فى اعراب الجملة .

3- إن التأويل فى النحو إما أن يكون بالحذف وإما أن يكون بالاستتار و التقدير .

4- إن التأويل فى البلاغة يسمى أيضا المجاز وهو اللفظ المستعمل فى غير ما وضع له لعلاقة مشابهة كما في الإستعارة ، أو غير مشابهة كما في المجاز المرسل .

المراجع

1. إبن عقيل، بهاء الدين عبد الله . *شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك* . ج1 القاهرة: دار العلوم، دون سنة.

2. إبن يعيش، يعيش بن على . *شرح المفصل*. بيروت: دون سنة.
3. أحمد مطلوب . *الفنون البلاغية*. القاهرة: مكتبة الأنجلو، دون سنة.
4. الذهبي ، مُحَمَّد حسين . *التفسير والمفسرون* . ج1. ط2؛ القاهرة : دار الكتب الحديثة ، 1396هـ/1976م .
5. الزجاجى، عبد الرحمن بن اسحاق .*كتاب الجمل فى النحو*. بيروت: دار المشرق، 1977.
6. عباس حسن . *النحو الوافى*. ج1. ط 3، القاهرة: دار المعارف، 1976.
7. الغلايين، مصطفى . *جامع الدروس العربية*. ج1. ط 21؛ بيروت: المكتبة العصرية، دون سنة.
8. لجنة الإخراج . *المعجم الوسيط* . ج 1 . ط 2 ؛ القاهرة: مجمع اللغة العربية ، 1392هـ/1972م .
9. الهاشمى، أحمد . *القواعد الأساسية للغة العربية*. بيروت : دار الكتب العلمية، دون سنة.
10. ـ. *جواهر البلاغة فى المعانى والبيان والبديع*. بيروت: دار الكتب العلمية، دون سنة.